القاضي أحمد بن أسحق بن البهلول النحوي الأديب الشاعر المحدّث الرّاوية [231-318هـ]

م.م. وداد عبد الحسين عمران الحسي
معهد اعداد المعلمات/ الرصافة الأولى

مقدمة

وانا ابحث في بطون امهات الكتب التي دونت ذكر العلماء والعظماء الذين تضلعوا باكثر من علم وخاضوا في اكثر من ميدان من ميادين العلوم والآداب والذي لهم اكثر من مجال عرفوا به.. وخاصة الكتب التي دونت سير النبلاء واعلام العلماء والادباء.. تعرفت على شخصية فذة كثر ذكرها في امهات الكتب التي دونت تاريخ العلماء ومنهم العالم الذي كتبت فيه بحثي هذا وهو (احمد بن اسحاق بن البهلول) فوجدته (نحويا ومؤدبا وراوية ومحدثا واديبا وشاعرا).

واخذني الفضول للتعرف عليه اكثر ولمعرفة مثل هكذا رجل افنى عمره في التطوف بين ميادين مختلفة من العلوم والاداب.

وما أقدمه لكم هو النزر القليل الذي تمكنت من جمعه ونشره لكم فكيف مثله وهو الذي نشأ من شجرة عائلية افنت عمرها في العلوم والادب لم يكن له ذلك الصيت الذي يستحقه في ايامنا هذه ولم يكتب عنه المحدثون كثيرا....

تغذى على العلوم وزق العلم زقا من تلك العائلة العريقة التي رفعت لواء العلوم والآداب شعارا لها... واخذته طريقا سلكه الاب والابن والعم والاخ، إلى اخره.

ولو بحثنا على ذكر علمائنا لوجدنا الكثير منهم الذين يستحقون الذكر وتعريفهم لجيلنا الناشئ وهذا الطريق يسيل فيه نبعا لا ينضب... فلنقف على هذا النبع ونغرف منه بدلونا ومهما حصلنا منه فهو غيض من فيض والله ولي التوفيق.

احمد بن اسحق بن البهلول

وهو من المشاهير العظماء الذي اكثر ذكره في اكثر من مجال، عاش في القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري وهو من شجرة عائلية عرفت بالعلم والادب والنحو، فضلا عن انهم شغلوا مناصب مرموقة في الدولة آنذاك.

أمّا اسمه الكامل فهو: (احمد بن اسحق بن البهلول بن حسان بن سنان التنوخي الحنفي من اهل الانبار ويكنى بابي جعفر)[1]. وقد ورد ذكر ولادته هذه تاريخ بغداد حيث قال عنه الخطيب البغدادي (ت463هـ): (اخبرنا علي بن أبي غالب المعدل قال: قال أبي: (ولد احمد بن اسحق بن البهلول بالانبار في محرم سنة احدى وثلاثين ومائتين، والانبار مدينة على الفرات غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، بناها سابور ذو الاكتاف، وجددها أبو العباس السفاح واقام فيها حتى مات، وسميت بالانبار لانها موضع انابير الحنطة والشعير)[2].

أمّا تاريخ وفاته فقد اختلف فيها ففي تاريخ بغداد قال: (اخبرنا السمار قال حدثنا الصفار قال: حدثنا ابن قانع قال: مات احمد بن اسحق بن البهلول في شهر ربيع الاخر من سنة (318هـ)[3])، بينما نجد الحاج خليفة في كشف الظنون يثبت انه توفي في (317هـ)[4]، وفي شذرات الذهب يقول: (مات لأحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاخر سنة (318هـ)القاضي أبو جعفر التنوخي الحنفي الانباري الاديب وهو احد الفصحاء والبلغاء وله سبع وثمانون سنة وله مصنف في نحو الكوفيون [5]، وفي نزهة الالباء ذكر وفاته في بغداد في شهر ربيع الاخر سنة ثماني عشرة وثلثمائة للهجرة)[6].

وقد اكد وفاته في هذه السنة المذكورة ابن الاثير (ت630هـ) في كتابه الكامل في التاريخ بقوله (ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلاثمئة وفيها عدة حوادث ومنها توفي القاضي أبو جعفر احمد بن اسحق بن البهلول التنوخي الفقيه الحنفي العالم بالنحو والادب الشعر)[7].

نشأته والصفات التي اشتهر بها:

نشأ احمد بن اسحق في بيت شجرة عائلته اتصفت بالعلم والادب والفقه والنحو وعلوم شتى اخرى، لذلك علا شأنه وقد عرف في اكثر من ميدان من ميادين العلوم والاداب واللغة والفقه ففي الجواهر المضية ذكر انه: (رجل ثقة ومحدث ثبت في الحديث

مأمونا جيد الضبط لما حدث، مستفننا في علوم شتى ومنها الفقه وعلى مذهب أبي حنيفة واصحابه وربما خالفهم في سيئلات يسيرة وهو تام العلم باللغة حسن القيام بالنحو وعلى مذهب الكوفيين وله مؤلف في النحو، واسع الحفظ للشعر وهو شاعر كثير الشعر جيدة، خطيبا حسن الخطابة، والتفوه بالكلام، لسنا صالح الحفظ في الترسل والمكاتبة وفي البلاغة والمخاطبة، ورعا تقيا)[8].

وقد اكد هذه الصفات وذكرها أيضاً ابن الانباري في كتابه نزهة الالباء في طبقات الادباء)[9] وفي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه)[10].

منزلته وشأنه:

لأحمد بن اسحق منزلة كبيرة شهد لها المؤرخون والكتاب والعلماء وورد ذكره في كتبهم فمنهم الصفدي حيث قال عنه: (أبو جعفر التنوخي عالم بالادب والسير وله اشتغال بالتفسير والحديث وله شعر حسن وهو من كبار القضاة)[11].

وذكره ياقوت الحموي (انه عظيم القدر، واسع الادب، تام المروءة حسن الفصاحة والمعرفة وكان فاضلا فقيها خطيبا لسنا ورعا)[12].

وفي الاعلام ورد ذكره (عالم بالادب والنحو والسير وله اشتغال بالتفسير والحديث وله شعر وهو من كبار القضاة)[13].

أمّا ابن الاثير فقد قال: (القاضي أبو جعفر احمد بن اسحق بن البهلول الفقيه الحنفي العالم بالآدب ونحو الكوفيين وله شعر حسن)[14] .

وفي تاريخ بغداد جاء: (كان رجل ثقة ثبتا في الحديث مأمونا جيد الضبط لما حدث، متفننا في علوم شتى ومنها الفقه وعلى مذهب أبي حنيفة واصحابه تام العلم باللغة حسن القيام بالنحو على مذهب الكوفيين وله كتاب في النحو، واسع الحفظ للشعر شاعراً كثير الشعر جيدة خطيبا حسن الخطابة والتفوه بالكلام، لسنا صالح الحفظ في الترسل والمكاتبة والبلاغة في المخاطبة)[15].

عائلته:

نشأ احمد بن اسحق بن البهلول في بيت شجرته العائلية وارفة ضلالها بالعلم والادب والفقه... ذاع صيت هذا البيت بعلمه فضلا عن انهم شغلوا مناصب في الدولة... وتوارثوا العلم والادب والفقه والنحو فيما بينهم.

ففي ارشاد الاريب جاء: (حمل الناس العلم والادب عن جماعة من اهل هذا البيت ومنهم البهلول بن حسان في الفقه والدين ثم ابنه اسحق ثم اولاد اسحق ومنهم احمد بن اسحق ثم ابن احمد وهو محمد وابن اخيه داود بن الهيثم وكان اسن من عمه القاضي)[16].

وكان لأبيه اسحق مسند كبير حسن وكان ثقة [17].

علومه ومعارفه:

احمد بن اسحق بن البهلول له معارف شتى وعلوم كثيرة تضلع فيها وعرف واشتهر فيها فله معرفة في اكثر من ميدان ميادين العلوم والمعرفة فهو له اراء في النحو وله كتاب في النحو على مذهب الكوفيين وقد ورد في نزهة الالباء: (عن أبي اسحق بن ادريس النحوي المعروف بان سيار قال: سمعت ابا بكر الانباري يقول: ما رأيت صاحب طيلسان انحى من أبي جعفر احمد بن اسحق بن البهلول)[18].

(وهو اديب له حفظ واسع للشعر وكان شاعرا كثير الشعر جيدة ومحدث وفقيه)[19].

ومحدثا في الاخبار الطوال وراوياً وناقلا للاحاديث النبوية الشريفة وثقة ويؤخذ عنه... وله مجالس يحضر فيها لتناقل شتى العلوم والاخبار والاحاديث والاشعار إلى اخره وحفظه للاحداث الطوال المهمة، ويروي فيها احاديث للرسول (ﷺ).

احمد بن اسحق محدث ثقة في احاديثه ورواياته:

وقد ذكرت مجالسه هذه عند المحافى بن زكريا في كتابه (الجليس الصالح والانيس الناصح) فمنها تأخذ مثلا عن ذلك:

المجلس الثاني والسبعون في ذكر وفاة الحسن أبي ذر في قوله: (حدثنا احمد بن اسحق بن البهلول عن الحسن بن محمد الزعفراني عن يحيى بن سليم الطائي عن مجاهد عن ابراهيم بن الاشتر عن ابيه عن ام أنس قالت: لما حضرت الوفاة لابي ذر بكيت وسألني عن بكائي فقلت له ستموت في الفلاة وانا وحدي وليس لي غير ثوب لا يسعني لي ولك فمن اين لي كفن لك فقال لها أبو ذر لقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (ليموتن رجل منكم في الفلاة فيهدي الله له عصابة من المؤمنين يشهدون موته وتكفينه) فابصري في الطريق ستجدين اولئك النفر وانا كذلك إذ لاح لي رجال على رحالهم واقبلوا عليّ

وسألوني من الرجل فقلت: رجل من المؤمنين فسألوني ومن هو فقلت ابا ذر فسألوني اهو صاحب رسول الله (ﷺ) فقلت: نعم فاسرعوا اليه وقاموا بواجبه)[20].

هذا المجلس ضربته مثلا لمجالسه وله مجالس كثيرة ذكرت في كتاب المعافى بن زكريا. وكان عنده عن أبي كريب محمد بن العلاء احاديث عن الرسول (ﷺ) ذكرت لـه في المجلس الثامن والسبعون عن فتنة الدجال، وحديث حسناء فلا تغرك) وسمع احمد بن اسحق احاديث عن ابيه وعن ابراهيم بن سعيد الجوهري وعن ابي سعيد الاشبح وقد مُـل بن اهاب وعن ابي هشام الرفاعي ومحمد بن المثنى اليعفري ويعقـوب الـدورقي وروي عنه أبو الحسن الجراحي ومحمد بن اسماعيل الوراق وابو الحسن الدارقطني أبو حفـص بن شاهين ومحمد بن عبد الرحمن الخلص وجماعة سواهم [21].

اخبرنا محمد بن طلحة الثعالبي حدثنا احمد بن اسحاق بن البهلول القاضي حـدثنا سفيان بن محمد بن سفيان بن ابراهيم الفزاري حدثنا حماد بن سلمة عن ايوب عن سـعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال رسول الله (ﷺ): (لا فرع ولا عشيرة في الاسـلام) قـال القاضي هكذا في اصلي)[22].

حدثنا الحسن بن ابي طالب عن يوسف القواس: انه ذكر احمد بـن اسـحاق بـن البهلول في جملة المحدثين الثقات حدثنا علي بن المحسن قال احمد بن اسحق بن البهلول بن حسان بن سنان التنوخي من اهل الانبار عظيم القدر حسن الفصاحة[23].

احمد بن اسحاق الشاعر

كان أبو جعفر يقول الشعر تأدبا وتطرباً وما علمت انه مدح احدا بشيء منه ولـه قصيدة طردية مزدوجة طويلة وحمل الناس عنه علما كثيرا ومن شعره قوله:

رأيـت العيـب يلصـق بالمعـالي لصـوق الحبـر فـي لفـق الثيـاب
ويخفـي فـي الـدنيء فـلا تـراه كما يخفـى السـواد علـى الاهـاب

وله في الوزير ابن الفرات

قـل لهـذا الـوزير قـول محـق بثـه النصـح ايمـا اثبـات
قـد تقلـدتها ثلاثـا ثلاثـا وطـلاق البتـات عنـد الـثلاث

وكان الامر على ما قاله فإن ابن الفرات قتل بعد الوزارة الثالثة في محبسه ولـه أيضاً:

أقبلت الدنيا وقد ولى العمر فما اذوق العيش إلاَّ كالصبر
كله ايام الصبى إذ تعتكره لاقت لدينا لو تؤوب ما تسر

وله أيضاً:

ويجزع من تسليمنا فيرونا مخافة أن تبغي يداه فيبخلا
وماضره أن يجيبنا ببشره فننفع بالبشر الجميل وترحلا

وله أيضاً:

وحرقة اورثتها فرقة دنفا حيران لا يهتدي إلاَّ إلى الحزن
في جسمه شغل عن قلبه وله في قلبه شغل عن سائر البدن

وله:

ابعد الثمانين افنيتها وخمسا وسادسها قد نما
ترجي الحياة وتسعى لها لقد كاد دينك أن يكما [24]

وله قوله:

إن الزمان من مرارته سقانا بعد الحلاوة انفاسا فاروانا
ابدى لنا تارة فاضحكنا ثم انثنى تارة واخرى فابكانا
انا إلى الله فيما لايزال لنا من القضاء ومن تكوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها مالا يدوم معاناة واحزانا
ونحن فيها كأنا لا نزايلها للعيش احياؤها يبكون موتانا [25]

وله في معجم الشعراء:

اقصيت من يرضى بنا وأدنيت قبل السؤال وبعده من يفهم
فاليه من اخلافه واذا رأيت من الكريم غضاضة اتظلم[26]

وله أيضاً في معجم الادباء:

إلى كم تخدم الدنيا وقد جزت الثمانينا
لئن لم تك مجنونا فقد فقت المجانينا

وقد ذكر أبو عبيد الله بن بشر أن في تاريخه قال دخل على القاضي احمد بن اسحاق بن البهلول أبو القاسم عمر بن شاذان الجوهري فقال له ارتفع يا ابا حفص فقال له بعض من حضر هو أبو القاسم فأنشأ ابن البهلول يقول:

فان تنسني الايام كنية صاحب كريم فلم انس الاخاء ولا الودا
ولكن رأيت الدهر ينسيك مامضى إذا انت لم تحدث اخاء ولا عهدا [27]

احمد بن اسحق القاضي:

(كان احمد بن اسحاق ورعاً متخشنا في الحكم تقلد القضاء بالانبار وهيت وطريق الفرات من قبل الموفق بالله الناصر لدين الله في سنة 276 ثم تقليد للناصر دفعة اخرى ثم تقلد للمعتضد ثم تقلد بعض كور الجبل للمكتفي في سنة 92 ولم يخرج إليها ثم قلده المقتدر بالله في سنة (296) بعد فتنة ابن المعتز القضاء بمدينة المنصور من مدينة السلام (وطسوجي قطربل ومسكن) والانبار وهيت وطريق الفرات)[28]، ثم اضاف له بعد سنين بكور الاهواز مجموعة لما مات قاضيها إذ ذاك محمد بن خلف المعروف بوكيع [29] فما زال على هذه الاعمال حتى صرف عنها سنة سبع عشرة وثلثمائة)[30].

ففي سنة 311 هـ قلد ماه الكوفة وماه البصرة مضافات إلى ما تقدم ذكره ثم قلده المقتدر بالله في سنة ست وتسعين القضاء بمدينة المنصور في مدينة السلام وطوج مسكن وقطربل بعد فتنة ابن المعتز في سنة 316 فضعف فتوصل أبو الحسين الاثناني إلى أن ولي قضاء المدينة فكانت له احاديث قبيحة وقيل أن الناس سلموا عليه بالقبا ايماء إلى البغاء وكان اليه الحسبة ببغداد فضرب في اليوم الثالث واعيد العمل إلى أبي جعفر فامتنع من قبوله فرفع يده عن النظر في جميع ما كان اليه وقال احب أن يكون بين الصرف والقبر فرجه ولا انزل من القلنسوة إلى الحفرة وقال في ذلك:

تركت القضاء لاهل القضاء واقبلت اسمو إلى الاخرة
فان يك فخرا جليل الثناء فقد نلت منه يدا فاخرة
وان كان وزرا فابعد به فلا خير في امرة وازره

فقيل له فابذل شيئا حتى يرد العمل إلى ابنك أبي طالب فقال ما كنت لا تحملها حيا وميتا فقد خدم ابني السلطان وولاه الاعمال فان استوثق خدمته قلده وان لم يرتض مذاهبه صرفه وهذا يفتضح ولا يخفى وانشدهم:

يقولون همت بنت لقمان مره بسوء وقالت يا أبي ما الذي يخفى
فقال لها مالا يكون فامسكت عليه ولم نمدد لمنكرة كفا
وما كل مستور يغلق دونه مصاريع ابواب ولو بلغت الفا [31]

كيف نصب أبو جعفر بن البهلول قاضيا:

حدثنا القاضي أبو الحسن بن أبي طالب ابن القاضي أبو جعفر بن البهلول وهو احمد بن اسحق بن البهلول وابو طالب هو محمد بن احمد بن اسحق قال حدثني أبي عن ابيه وحدثني أيضاً أبو الحسن احمد بن يوسف الازرق عن أبي جعفر بن البهلول القاضي قال لما استقرت الامور للناصر لدين الله بعد فراغه من امر الزنج فسأل عن الانبار ومن يصلح فيها للقضاء فاسميت له وكان عارفا بأبي فأمر باحضاري وتقليدي القضاء.. فحضرت فعرفني الصورة وحملني إلى اسماعيل... فقلت لهما انا في كفاية وغناء ولا حاجة بي إلى تقلد القضاء فأمسكا عني فغدت إلى منزلي فجاءني جعفر بن ابراهيم الانباري فقال لي لأي شيء استدعيت فحدثته فقال اتق الله في نفسك أن الذي جرى بينك وبينهما خاف من الناس وانك تعود إلى بلدك فيقول اعداؤك طلب للقضاء فلما شوهد وجد لا يصلح فرد فقلت ما اضع قال ترجع إلى اسماعيل فتصدقه عما جرى بيننا قال فباكرت اسماعيل فحين رآني قال هذا الوجه غير الوجه الامسي قلت هو كذلك قال: هي (وتستعمل هذه اللفظة في العراق: ها) قلت: كان كذا وكذا فاخبرته بما جرى بيني وبين جعفر بن ابراهيم فقال: نصحك والله هذا الصديق.

قم نبأ إلى الوزير قال: فحملني اليه فلما رآنا تبسم وقال كيف عاد أبو جعفر قال فقص عليه اسماعيل الخبر قال جزى الله خيرا هذا الصديق فقد اشار عليك بالرأي الصحيح اكتبوا عهده قال: فكتب عهدي عن الناصر على الانبار وهيت وعانات والرحبة وقرقيسيا [32].

ولم يزل محل أبي جعفر ينمي ويزيد حتى قلد مدينة أبي جعفر المنصور[33].

ارتفاع محل القاضي ابن البهلول في دولة المقتدر:

وكان أبو جعفر بن البهلول عند المقتدر وبصورة الناسك الزاهد من ذلك وحدثني به أبو الحسن احمد بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن البهلول قال حدثني أبو علي احمد بن جعفر الانباري قال: مات (واثق) مولى المعتضد فاوصى أن يصلي عليه أبو الحسن علي بن عيسى فحضر فيمن حضر... القاضيات أبو جعفر احمد بن اسحق بن البهلول وابو عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب الازدي كنت حاضرا قال فوضعت الجنازة وقيل لابي الحسن علي بن عيسى تقدم فوضعت عينه على أبي جعفر فجذبه وقدمه وتأخر هو

قال: فلما انقضت الصلاة طلبت ابا عمر لا نظر كيف هو فوجدته قد اسود وجهه غما بتقديمهم ابا جعفر عليه فجئت إلى أبي جعفر وهنأته بذلك واخبرته بخبر أبي عمر فاستسر بذلك وسر بعلمي انا بالأمر ومشاهدي له لأجل البلدية أي كونهما من بلد واحد قال لي أبو الحسن: هذا مع نفرة كانت بينهما أي بين القاضي أبي جعفر وبين أبي الحسن علي بن عيسى[34].

بعض الاحداث والوصايا:

قدم القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي إلى بغداد في حداثته وكان قاضي القضاة أن ذاك أبو جعفر –احمد بن اسحاق بن البهلول وهو تنوخي وابو القاسم تنوخي فصادفت لياقه أبي القاسم وذكاؤه وفهمه هذه الصلة بينه وبين قاضي القضاة فقلده القضاء بعسكر مكرم ولما سلم قاضي القضاة إلى أبي القاسم التنوخي عهده بالقضاء اوصاه بتقوى الله وبأشياء من امور العمل وسياسته في الدين والدنيا ولم ينس أن يشدد عليه بالنصيحة وان يكتم على الناس سنة كيلا ينسب إلى الحداثة وقلة الحنكة [35].

عدله وامانته:

اتفق أن السيدة ام المقتدر وقفت وقفا وجعل هذا عنده نسخة به في سلة الحكم تم ارادت أن تنقض ذلك الوقف فطلبت هذا الحاكم وان يحضر معه كتاب الوقف لتأخذه منه فتعدمه فلما حضر من وراء الستار فهم المقصود فقال لها: لا يمكن هذا لأني خازن المسلمين فأما أن تعزلوني عن القضاء وتولوا هذا غيري واما أن تتركوا هذا الذي تريدون أن تفعلوه فلا سبيل اليه وانا حاكم فشكته إلى ولدها المقتدر بذلك فذكر له صورة الحال فرجع إلى امه فقال لها: أن هذا الرجل ممن يرغب فيه ولا يزهد فيه ولا سبيل إلى عزله ولا التلاعب به فرضيت عنه وبعثت تشكره على ما صنع من ذلك فقال: من قدم امر الله على امر العباد كفاه الله شرهم ورزقه خيرهم وقد كانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز الثمانين [36].

احداث طريفة في حياته:

أهميته ومركزه بين كبار الناس:

اخبرنا علي بن أبي علي قال حدثني أبي اخبرني القاضي أبو نصر يوسف قال: كنت احضر دار المقتدر فكنت ارى القاضي ابا جعفر يحضر بالسواد فاذا راه أبي عدل

إلى موضعه فجلس عنده فيتذكر أن بالشعر والادب والعلم حتى يجتمع عليهما من الحـــزم عدد كثير فسمعته يوما قد انشد بيتا فقال له أبي انا احفظه بخلاف هذه الرواية فقـــال لـــه اسكت انا احفظ لنفسي من شعري خمسة عشر الف بيت واحفظ للناسك اضـــعاف ذلـــك واضعافه وظل يكررها مراراً وفي رواية ابن عبد الرحيم عن التنوخي قال قال له هـــات الي تقول هذا وانا احفظ من شعري نيفا وعشرين الف بيت سوى ما احفظه للنـــاس قـــال فاستجني أبي منه لسنة ومحله ويسكت [37].

قال الخطيب: (اخبرنا علي بن أبي علي عن أبي الحسن احمد بن يوسف الازرق قال حدثني أبو طالب محمد بن القاضي أبي جعفر بن البهلول قال: كنت مع أبي في خبازة لبعض وجوه اهل بغداد والى جانبه جالس أبو جعفر الطبري فأخذ أبي يعـــض صـــاحب المصيبة ويسليه وينشده اشعارا ويروي له اخبارا فداخله الطبري في ذلك ودئب معه ثـــم اتسع الامر بينهما في المذاكرة وخرجا إلى فنون كثيرة مـــن الادب والعلـــم استحســـنها الحاضرون وعجبوا منها وتعالى النهار وافترقنا فلما جعلت اسير خلفه قال يا بنـــي هـــذا الشيخ الذي داخلنا اليوم في المذاكرة من هو اتعرفه فقلت: يا سيدي كأنك لم تعرفه فقال لا فقلت هذا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فقال انا لله ما احسنت عشرتي يا بني فقلت: كيف يا سيدي فقال: إلاَّ قبلت لي في الحال فكنت اذاكره غير تلك المذاكرة هـــذا رجـــل مشهور بالحفظ والاتساع في صنوف من العلم وما ذاكرته)[38].

بحسبها قال ومضت على هذا مدة فحضرنا فـــي حـــق لآخـــر (الحـــق: الارض المطمئنة) وجلسنا واذا بالطبري يدخل إلى الحق فقلت له: قليلا قليلا ايها القاضي هذا أبو جعفر الطبري قد جاء مقبلا قال فأومأ اليه بالجلوس عنده فعدل اليه فاوسعت له حتى جلس إلى جنبه واخذ أبي يجاريه فكلما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري منها ابياتا قال أبي هاتها يا ابا جعفر فربما مر وربما تلعثم (فيمر أبي في جميعه حتى نسقه)[39] (وكان كلما ذكر شيئا من السير قال ابي: كان هذا في قصة فلان ويوم بني فلان مر ابا جعفر فيه. فيتلعثم فيمر ابي في جميعه قال: وبات للحاضرين قصور الطبري عنه ثم قمنا فقال لـــي ابـــي: الان شفيت صدري)[40].

رجاحة عقل احمد بن اسحق:

حدث أبو علي التنوخي حدثني أبو الحسين المعروف بابن ابي قواط كاتب ابن الفرات قال كنا مع ابي الحسن بن الفرات في دار المقتدر في وزارته الثانية. وقد استحضر (ابن قليجة) رسول علي بن عيسى إلى القرامطة في وزارته الاولى فواجه علي بن عيسى في المجلس بأنه وجه إلى القرامطة مبتدئا فكاتبوه يلتمسون منه الطلق وحوائج اخرى فانفذ جميع ذلك اليهم.

واحضر ابن الفرات معه خطة (أي ابن عيسى) في نسخة انشأها إلى القرامطة جوابا عن كتابهم اليه ولم يقل فيه انكم خارجون عن ملة الاسلام بعصيانكم امير المؤمنين ولكنكم خارجون عن جملة اهل الرشاد وداخلون في جملة اهل الفساد فهجن ابن الفرات عليا وقال له ويحك تقول القرامطة مسلمون وانهم اهل ردة لا يصلون ولا يصومون وتوجه اليهم بالطلق وهو الذي إذا طلى به البدن لم تعمل فيه النار قال: اردت استعادتهم بهذا إلى الطاعة، ثم قالوا له انه اقر به قال: رأيت علي بن عيسى قد حدق اليه تحديقاً شديدا ثم امثل علي ابي جعفر احمد بن اسحاق بن البهلول القاضي فقال ما عند يا ابا جعفر في هذا فقال أن اذن لي الوزير قلت ثم قال إذا اراد ارجاعهم إلى اوطانهم ونعمهم وكانوا مستعيدين وهم اهل نعم على جهة طلب الصلح لم يجب عليه شيء واما ما اقر به أن القرامطة مسلمون وذلك إذ لم يصح عنده كفرهم وكاتبره بالتسمية لله ثم الصلاة على رسوله الكريم لم يطلق عليهم الكفر فقال ابن الفرات يا ابا جعفر انت وكيله ومحتج عنه قال: لا لست إلاَّ حاكما اقول الحق فسكت ابن الفرات.

وفي رواية اخرى أن في مرة استثار الخليفة احمد بن اسحاق في وشاية ونفاق وصل إليه عن بعض الناس فقال: له الخليفة ما عندك يا احمد فيمن فعل هذا فقلت أن رأي أن يعفيني امير المؤمنين فقال ولم فقلت لان الجواب ربما اغضبت به من انا محتاج إلى رضاه أو اخالف فيه ما يوافقه ويهواه فقال لابد أن تجيب فقلت الجواب وقال الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ومثل هذا يا امير المؤمنين لا يقبل بخبر واحد وانما التمييز فيه).

الرواية طويلة جدا في معجم الادباء.. اردت أن اثبت في روايتها حكمة ورجاحة عقل احمد بن اسحق [41].

وهذه الرواية اخرى تثبت رجاحة عقله وحسن تصرفه وهي: وحدث أبو الحسن علي بن هشام بن ابي قيراط قال [42]: دخلت مع ابي إلى ابي جعفر احمد بن اسحاق بن البهلول عقب عيد لتهنئته وتطاول الحديث فقال له ابي قد كنت اكاتب الوزير ايده الله إلى محبسه يعني ابن الفرات لانه كان الوزير إذ ذلك الوزارة الثالثة واعرفه ما عليه القاضي من موالاته من كذا وكذا فلما سمع ذلك فرق الغلمان ومن كان في مجلسه من اصحابه حتى خلا وقال ليس يخفى على التغيز في عين الوزير وان كان لم ينقضي من رتبة ولا عمل ثم لقيته يوم الخلع عليه بعد لبسه اياها فتطاول فلما فعلت به في امر الوزير ايده الله ما فعلته بحضرة امير المؤمنين عاداني وصار لا يعير لي طرفة وتعرضت منه لكل بلية فكنت خائفاً له حتى اراح الله منه بتفرد علي بن عيسى بالامور)[43].

وهذه رواية اخرى تبين منزلته وقدره بين الناس الكبار وشأنه بينهم وهي وردت في تاريخ بغداد: (اخبرنا علي بن ابي علي قال حدثني ابي فقال اخبرني القاضي أبو نصر يوسف فقال: (كنت احضر دار المقتدر ارى القاضي أبو جعفر يحضر بالسواد، فاذا راه ابي عدل إلى موضعه فجلس عنده وبقيا يتذاكر أن الشعر والادب والعلم حتى اجتمع عليهما عدد كثير من الناس فأنشد بيتا شعريا، فقال له ابي انا احفظه بخلاف هذه الرواية، فقال له: اسكت انا احفظ لنفسي من شعري خمسة عشر الف بيت، واحفظ للناس اضعاف ذلك واضعافه... وظل يكررها مرارا)[44].

مؤلفاته وكتبه:

1- له كتاب في النحو على مذهب الكوفيين.

2- (ادب القاضي) على مذهب الامام ابي حنيفة للامام ابي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي المجتهد الحنفي المتوفي (182هـ) واول من صنف فيه وروى عنه أبو جعفر احمد بن اسحاق الانباري المتوفى 317 هـ ولم يكمله.

3- علم الناس والمنسوخ: علم ناسخ الحديث ومنسوخه الف فيه جمع كثير منهم احمد بن اسحق الانباري المتوفي 318هـ .

4- كتاب الدعاء.

الخاتمة ونتائج البحث

يعد أن طوفت بين المكتبات وعشت بين الكتب من مصادر ومراجع قديمة لعلماء العربية المتقدمين لأجد في هذا المصدر وذاك المرجع معلومات عن الشخصية التي اخترت التعرف عليها وتعريفها واظهارها لقارئي الكتب وللباحثين عن الشخصيات الفذة التي تضلعت بأكثر من ميدان من ميادين العلوم والآداب والفقه واللغة وهو القاضي الذي تسلم القضاء على الانبار وهيت وبغداد مدينة المنصور لفترة طويلة... وجالس العلماء والادباء في مجالسهم وتبارى مع الشعراء في شعره الذي اشتهر بعدله وشجاعته وقوله الحق ورواية الاحاديث الشريفة والاخبار الطوال المهمة والتضلع في علم النحو وابداء اراؤه فيه في تأليفه كتاب للنحو...

ثم نقلت الآراء التي قيلت بحقه وبصفاته وعلمه وفقهه ورواياته وبينت العائلة التي ينتمي اليها والذين اشتهروا أيضاً بعلومهم من جده البهلول إلى ابيه اسحق إلى عمه داود بن الهيثم إلى اولاده ومنهم محمد واقاربه الذين ينتمون إلى نفس عشيرته فهو انباري تنوخي حنفي فهو نحوي وشاعر واديب ومحدث وراوٍ للاحاديث والاخبار الطوال... قد حفظ شعراً كثيرا وكتب شعراً من تأليفه أيضاً.

ونقلت لكم بعض المجالس التي كانت يحضرها وما يدور فيها من احاديث وكذلك نقلت لكم بعض اشعاره.. وروايته لبعض الاحاديث النبوية الشريفة وروايات عن عدله في القضاء والحكم ارجو أن اكون قد وفيت ولو بالنزر القليل للتعريف بهذه الشخصية العظيمة الفذة.

الهوامش

(1) تاريخ بغداد: 30/4، المنتظم: 232/6، نزهة الالباء: 253، معجم الادباء: 82/1، سير النبلاء: 234/9، بغية الوعاة: 128/2، الاعلام: 91/1.

(2) تاريخ بغداد: 30/4، معجم الادباء: 82/1.

(3) تاريخ بغداد: 30/4.

(4) كشف الظنون، الحاج خليفة.

(5) شذرات الذهب في اخبار من ذهب: 276/1.

(6) نزهة الالباء:

(7) الكامل في التاريخ، ابن الاثير الجوزي.
(8) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 57.
(9) الاعلام، الزركلي: 91/1، نزهة الالباء: 253.
(10) بغية الوعاة: 128، الوافي بالوفيات: 235.
(11) تاريخ بغداد: 34/30، المجلد الرابع.
(12) معجم الادباء: 82/1، الوافي بالوفيات: 235/6.
(13) الاعلام، الزركلي: 91/1.
(14) الكامل في التاريخ، ابن الاثير الجوزي: 63.
(15) تاريخ بغداد، المجلد الرابع: 34.
(16) ارشاد الاريب: 82/1.
(17) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 57.
(18) نزهة الالباء في طبقات الادباء: 253.
(19) المنتظم، ابن الجوزي: 232/6.
(20) الجليس الصالح والانيس الناصح، المعافى بن زكريا: 74.
(21) تاريخ بغداد، المجلد الرابع: 31.
(22) المصدر نفسه، المجلد الرابع: 32.
(23) المصدر نفسه، المجلد الرابع: 33.
(24) معجم الادباء، الخطيب البغدادي: 94/1.
(25) الجليس الصالح والانيس الناصح: 74.
(26) معجم الادباء: 115.
(27) المصدر نفسه: 94، 120.
(28) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، أبو الوفا: 58.
(29) هو محمد بن خلف بن حيان أبو بكر الملقب بوكيع قاض وباحث وعالم بالتاريخ، ولي قضـــاء بـــالاهواز، وتوفي سنة 306هـــ، نزهة الالباء، أبو البركات الانباري: 254.
(30) بغية الوعاة، السيوطي: 128، معجم الادباء: 92/1، نزهة الالباء: 255.
(31) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، باب الاحمديدين: 128.
(32) هيت مدينة على الفرات فوق الانبار مجاورة للبرية ذات نخل كثير وخيرات واسعة، وعانات قرية بحذاء القادسية على مرحلة الكوفة وهي عامرة بالمزارعين وبزراعة الرقي، قرقيسيا: على الخابور قـــرب رحبـــة على مصب الخابور. معجم البلدان: 997/4، و594/3.
(33) نشوار المحاضرة القصة: 255/137.
(34) المصدر نفسه: 258.

(35) المصدر نفسه من ترجمة المؤلف: 17.
(36) البداية والنهاية: 165/11.
(37) الجواهر المضية، أبو الوفا: 56، نزهة الالباء: 254، معجم الادباء: 84.
(38) تاريخ بغداد: م4، 33/32.
(39) هذه العبارة في معجم الادباء وغير موجودة في نزهة الالباء.
(40) هذه الرواية اخرها تخالف رواية معجم الادباء في بعض الكلمات وهي موجودة في نزهة الالبـــاء: 254، وفي معجم الادباء: 84-85، وفي الجواهر المضية: 58.
(41) معجم الادباء: 88-89.
(42) المصدر نفسه: 89.
(43) المصدر نفسه: 88-90.
(44) كشف الظنون: 1920/2، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: 160/1، الاعلام، الزركلي: 91/1.

المصادر والمراجع

1- الاعلام: خير الدين الزركلي، الجزء الأول.
2- البداية والنهاية: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشـــقي (ت774هـــ)، منشـــورات مكتبـــة المعارف، بيروت- لبنان، الجزء الحادي عشر، طبع في سنة 1988/.1408
3- بغية الوعاة: جلال الدين السيوطي الشافعي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى بابي الحلبي، القاهرة، (1964)، الجزء الأول، والجزء الثاني.
4- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، الجزء الرابع، مطبعة دار الكتاب العربي، لبنان- بيروت.
5- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: أبو الوفا محمد عبد القادر، حيدر اباد الدكن، مطبعـــة دار المعارف العثمانية.
6- الجليس الصالح والانيس الناصح: المعافى بن زكريا.
7- سير النبلاء وبهامشه احكام الرجال من ميزان الاعتدال: الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت748هـــ)، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غلاقـــة العمـــروي، مطبعة دار الفكر للطباعة، الجزء التاسع.
8- شذرات الذهب في اخبار من ذهب: أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت1089هـــ)، الجزء الثاني، مطبعة دار المسيرة، بيروت.
9- الكامل في التاريخ: العلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بـــابن الاثير الجوز (ت630هـــ)، المجلد السابع، دار الكتب العلمية، بيروت، .1971

10- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون: مصطفى عبد الله الحاج خليفة (182) استانبول، مطبعة وكالة المعارف، كاتب جلبي، 1941.
11- المنتظم في تاريخ الملوك والامم: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت597هـ)، الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الجزء السادس.
12- معجم الادباء المعروف بارشاد الاريب إلى معرفة الاديب بشهاب الدين ياقوت الحموي بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626)، الجزء الأول، اعتنى بنسخه وتصحيحه د.س. مرجلون، مطبعة هندية، مصر، 1923.
13- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، تراجم مصطفى الكتب العربية، الجزء الأول، المكتبة العربية بدمشق، عبيد اخوان مطبعة الترقي، بدمشق 1376-1957.
14- معجم البلدان: الامام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان.
15- نزهة الالباء في طبقات الادباء: لابي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة القاهرة، مطبعة المدني شارع العباسية.
16- نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة: القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي (ت384هـ)، تحقيق عبود الشالجي المحامي، ط 1971.
17- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، الجزء السادس باعتناء س. ديدر ينغ، دار النشر فرانز شتايز يقيسباون، 1972.
18- الولاة والقضاة: أبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري، طبع مطبعة الابا اليسوعيين، بيروت، 1908.
19- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ)، تحقيق الدكتور احسان عباس، المجلد الأول، دار الثقافة، بيروت.